المقياس : خطاب النهضة العربية
عنوان الدرس : أخلاق الدول النامية وذهنيتها ونفسيتها

أستاذ المقياس : د.الشريف مرزوق
البريد الإلكتروني : merzcherif05@gmail.com

تاريخ تصميم الدرس : 2021/2020

الجمهور المستهدف : الطلبة

المستوى المطلوب : السنة الأولى ماستر(نقد)

الأهداف البيداغوجية:

* تشخيص وضعية الدول الغربية من كل الجهات.

* حسن التشخيص يؤدي إلى الحل المناسب.

ملخص الدرس:

دراسة خطاب النهضة في الدول العربية تتطلب تشخيصا دقيقا لواقع هذه الدول في مختلف المجالات.

برنامج الدرس:

1) **أولا :أخلاق المجتمعات النامية.**
2) **ثانيا :العقلية السائدة في المجتمعات النامية.**
3) **ثالثا :النفسية السائدة في المجتمعات النامية.**

طريقة التقييم:

1) المواظبة.
2) المشاركة.
3) واجب منزلي.
4) امتحان شفهي.
5) امتحان كتابي.

وصف طريقة تقديم العمل المطلوب:

تحديد عناصر الدرس ومناقشتها مع التلخيص الذاتي.

- تقديم عروض.

- قراءات من مراجع مختصة.

أولا: أخلاق المجتمعات النامية

يقوم الانطلاق الحضاري – كما يعزز - على نوع من الأخلاق الاجتماعية التي تمكن القوى الاجتماعية المختلفة من الحركة والعطاء والانسجام والاستفادة من كل المعطيات المتاحة. وعلى نحو من ذلك تتوضع ظواهر الركود الحضاري، وتستمد كينونتها ونموها من عدد من الأخلاق والعادات والفاعليات الذميمة.

ومن الواضح أن المجتمعات النامية والراكدة حضاريا تفقد القدر الضروري من التجانس في أكثر الصعد الحضارية، ومن ثم فإن حديثنا هنا لا يصور سوى الطابع العام، وإلا ففي أشد المجتمعات المختلفة أشخاص كثيرون شبوا عن الطوق الاجتماعي، وتجاوزوا السقف الحضاري السائد في شعوبهم؛ فهم في أقصى درجات الفاعلية والتفتح والاستجابة للتحديات المختلفة، لكن ذلك كله غير كاف لجعلهم يصبغون مجتمعاتهم بصبغتهم الحميدة ما لم يصلوا في عددهم إلى النسبة الحرجة المطلوبة.

ونظرة للجدلية القائمة بين كثير من جوانب الحياة فإنه لا يمكن عزل أي جانب من تلك الجوانب عن عمليات التأثير والتأثر التي تظل ناشطة مهما ظل المجتمع راكدا، كما يظل القلب في حالة من العمل على الرغم من النوم أو غياب الوعي، ومن هنا فإن مدى استقامة أخلاق أي مجتمع أو تدهورها مرتبطة بسلم القيم السائدة في المجتمع من جهة، وبالوضعية الحضارية العامة لذلك المجتمع من جهة أخرى.

وسلّم القيم من جانبه يتبادل التأثير والتأثر مع الوضعية الحضارية؛ حيث تهبط قيم معينة، وترتفع أخرى وبإمكاننا أن نذكر هنا بعض الأخلاق التي تسود في المجتمعات النامية والراكدة حضاريا. ولكون الإسلام يريد من المسلم أن يكون النموذج الأمثل في صعد الرقي والخير والحق والكمال فإن هذه الأخلاق موسومة بوسم –(اللاشرعية) مهما شاعت في المجتمعات الإسلامية، واستمرت. وإليك بعضا مما نعانيه في هذا الباب على النحو التالي :

1. ضعف الفاعلية:

تتسم المجتمعات الإسلامية – وكلها مصنفة مع المجتمعات النامية – بالبطء في كل شيء، كما تتسم بضعف المحصول العام لحركتها ونشاطها؛ فالمشكلات التي تجتاح مجتمعاتنا تستمر قرونا لضعف فاعلية الطرد لدينا، على حين لا تدوم المشكلات طويلا عند الشعوب المتقدمة صناعيا، حيث تجد عندهم في كل يوم مشكلات، وتختفي أخرى.

وأداء الأجهزة والأنظمة لدينا أيضا غير فعّال، وقوى الإنتاج المختلفة لا تعمل بالكفاءة المطلوبة، كما أن الفرص المتاحة لا تستغل على الوجه المطلوب، حيث لا نفطن لها إلا بعد فوات الأوان ؛ فنأتي دائما بعد الأحداث لا قبلها. المعلم في مجتمعاتنا لا يعلم بكفاءة. وإنتاج العامل لدينا لا يقارن بإنتاج العامل في

المجتمعات الأخرى ، ويصعد الواحد منا إلى الطابق الثاني بالمصعد على حين يصعد الواحد منهم هناك إلى الطابق الخامس على قدميه . ويقضي الواحد منهم بعضا من وقت فراغه في الجري والمشي، ونحن نقضيه في الاستلقاء! ويدخل الواحد منهم في مشروع، فيكافح إلى النهاية مهما طالت، ونشعر بطول الطريق والملل والسأم بعد قليل! فأين ذهبت فاعلية الإيمان التي دفعت بخالد بن الوليد والجيش الإسلامي بقطع بادية الشام من العراق إلى الشام في مدة زمنية مذهلة في قصرها رغم الظرف
الصعب. وأين ذهبت فاعلية الإيمان التي دفعت أسماء رضي الله عنها إلى المشي إلى غار ثور أميالا عدة مع أنها حامل!! وأين أولئك العلماء الذين كانوا يقسمون الليل أثلاثا: ثلثا للكتابة وثلثا للنوم وثلثا للصلاة، وأين وأين ... ؟؟ إن الأمة فقدت الهمة الحضارية فيما فقدت، فصارت إلى السكون أقرب. وخرجت من تيار الزمان المتدفق تنتظر مصيرها في عصر غزو الفضاء !!.

2. قلة الاكتراث بالوقت:

الوقت هو الغلاف الشامل لكل أنشطة الإنسان، وهو من المحطات الرئيسة في تقويم أدائه وفعاليته، وهو من قبل ذلك ومن بعده حياة الإنسان بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى؛ فضياعه هو ضياع العمر، وإتلافه إتلاف الأعظم الثروات. وعلى الرغم من كثرة الآيات التي أقسم الله بها بالزمن وكثرة الأحاديث التي تحث على اغتنام الساعات وكثرة أقوال السلف وعظماء العالم في ضرورة الحفاظ على اللحظة الواحدة ؛ فإن المجتمعات الإسلامية تعد نماذج مثالية لإتلاف الوقت وقتله في جميع الحقول، وعلى جميع المستويات. ولعل من الأسباب الرئيسة في هذه الظاهرة المحزنة أن طبيعة مصادر الرزق تتحكم في ذلك؛ فأكثر المسلمين يشتغلون في الرعي والزراعة والحرف اليدوية والمهن الحرة، وليس في واحدة من هذه ما يعود الإنسان على الحرص على الوقت والالتزام به.

ثم إن فاعلية الإنسان تتعقد كلما تعقدت مصالحه، وزادت أعباء الطلب عليه. وهذا يحتاج إلى درجة مناسبة من الولوج في عصر الصناعة. والحفاظ لدينا على الوقت في المعامل والمكاتب أفضل، لكن لم يتم بعد إرساء تقاليد عريقة في هذا بالقدر المطلوب. ومع ذلك فإن بقاء الموظف في مكتبه أقل مما هو موجود عند غيرنا بكثير؛ فإن بعض الإحصاءات يذكر أن الفرد من مواطني بعض الدول العربية لا يقضي في عمله سوى جزء يسير من يومه ، وذلك لا يساوي إلا ربع المدة التي يقضيها المواطن الأمريكي في العمل؟

بل إن هذا المواطن العربي يقضي 36٪ من وقته في مشاهدة (التلفاز)؛ كما أن المواصلات تستهلك 16٪ من وقته!

فكيف يمكننا أن نلحق بركب الحضارة إذا كنا نسير بربع الطاقة التي يسير بها الآخرون! وكيف لا تتسع الهوّة التي تفصل بيننا وبينهم؟

إن الدول المتقدمة باتت تبحث عن كل السبل التي تختصر فيها الوقت حتى إن حكومة (ميتران) في فرنسا تضم وزيرا للوقت الضائع!.

أما نحن فنجد أنفسنا حيال مواقف كثيرة يقتل فيها الوقت قتلا نتيجة فقد آلة صغيرة، أو نتيجة وجود موظف مهمل لم يجد من يقول له: لم؟ أو ينظر إليه نظرة عتاب!

3. ضعف المبادرة الفردية:

نعني بالمبادرة الفردية اندفاع المجتمع إلى القيام بأعمال تطوعية خيرية ذات نفع عام.

وتعد المبادرات الفردية من المقاييس المهمة لفاعلية أي مجتمع؛ فعلى مقدار ما يمور به المجتمع من مبادرات على مستوى الفكر واليد تكون فاعليته وحيويته.

والمبادرة الفردية مرتبطة إلى حد بعيد بدرجة الصحة النفسية المتوفرة في المجتمع وبـ (الرضا الاجتماعي) السائد فيه ؛ كما ترتبط بفاعلية قيم الخير والإحسان وخصوبة الخيال المبدع الذي يهدي إلى الأساليب والوسائل المساعدة في إشاعة الخير وحل المشكلات؛ ويرتبط قبل هذا وذاك بالتربية البيتية والاجتماعية الحرة التي تحفز المواهب، وتكسر حواجز الخوف، وتتيح الفرص لإجراء التجارب الاجتماعية الحية.

ويلاحظ أن أفراد المجتمعات الإسلامية كانوا في أوج عطائهم السخي حين كانت الأمة في حالة انطلاق حضاري، وحين ساد الركود، وبدأت

العجلات تدور نحو الخلف صار أكثر الناس لدينا يحمل نفسية (الموظف) الذي لا يعمل إلا في الحقل الذي رُسم له؛ حتى في الأعمال الدنيوية صار أكثر أبناء المسلمين يخشون الأعمال الحرة، ويبحثون عن الأعمال والوظائف الحكومية حيث لا مغامرة ولا مبادرة!

4. النمطية:

إن ضعف الحراك الاجتماعي والثقافي في المجتمعات النامية يؤدي إلى فقر في المعلومات، وفقر في النماذج والصور الذهنية. وهذا كله يجعل أكثر أبناء المجتمع فريسة للرؤى الأحادية الإجمالية البعيدة عن التنوع والتفصيل . وهذا ما يمكن أن نسميه بالنمطية أو الانطباعية. والمقصود بالنمط هنا: الشيء المكرر على نحو لا يتغير أو الشيء المتفق مع نموذج ثابت أو عام، وتعوزه السمات الفردية المميزة .

ومن سمات الصور النمطية أنها ترتكز على الشائعات والآراء التي لا تستند إلى براهين علمية، وإنما ترتسم من خلال الأوهام والمعلومات غير الدقيقة. ومن ثم فإن الصورة النمطية تكون محملة بالمشاعر الذاتية ومشحونة بالعواطف الشخصية.

وحين تعلق فكرة ما في ذهن الإنسان أو المجتمع النمطي فإن تغييرها يحتاج إلى وقت طويل؛ فشراء شيء من الخبز الرديء من أحد المخابز مرة واحدة كاف لأن يصد عنه الإنسان النمطي سنة كاملة، وربما الدهر كله. ووقوع رجل في خطأ واحد كاف لتشويه صورته مدى الحياة، وهكذا...

ونجد في مجتمعاتنا الإسلامية تصنيفا للشعوب صادرا عن التفكير النمطي؛ فهذا شعب كسول، وهذا غبي، وآخر بخيل، وهكذا ... مع أن في كل شعب من شعوب الأرض العديد من نماذج الخير والشر والتقدم والتخلف مع تفاوت في بعض النسب.

ومن مظاهر النمطية أن الأب يحب أن يعمل أولاده في عين المهنة التي يعملها أو التخصص الذي يمارسه، كما أنه يريد أن يعودهم نفس العادات التي تعودها مع أنهم خلقوا لزمان غير زمانه .

5. الانفرادية:

يعد تقسيم العمل أحد الآليات المهمة في جميع أصعدة التقدم الحضاري. كما أن العمل بروح الفريق سمة بارزة من سمات التحضر، حيث يتوقف إنجاز الكثير الكثير من الأعمال والمشاريع على مدى استعداد أعداد معينة من المختصين والفنيين وغيرهم للعمل بانسجام ووئام ضمن إطار نشط

فعال.

وفي هذا الصدد نجد لدينا أنواعا من الإخفاق المتكرر في إيجاد موازنات عملية تحفظ للفرد خصائصه الفردية، وتجعل منه عضوا نشطا في المجموعة التي ينتمي إليها.

وكثير من الأحزاب والجماعات والمجموعات واللجان ينتهي العمل فيها إلى إحدى صورتين: الأولى هي التشظّي والتفتُّت، والثانية : سيطرة نفر قليل عليها يلغي آراء الآخرين، ويحاول شطب الوجود الاعتباري لهم فيكون العمل في ظاهره جماعيا، وفي باطنه تسليطا فرديا !

وإذا ما حدثت نجاحات بذلت فيها جهود عظيمة متعددة حاول كثيرون أن ينسبوا إنجازها إلى أنفسهم مع غمط حقوق الآخرين!

6. الشكلية:

هناك نوع من المقابلة بين الجوهر والمظهر، أو الشكل والمضمون، وغالبا ما تصرف شدة العناية بأحدهما عن الاهتمام بالآخر. .

وإذا كان الإسلام قد ندبنا إلى العناية بالمظهر والتجمل في كل شيء إلا أننا لا نتماري في أن النصوص توجّهنا إلى صرف جل اهتمامنا إلى المضامين والحقائق .

وحين تسيطر الشكلية على نفسية مجتمع فإنها تأبى إلا أن تصبغ جوانب الحياة كافة، ابتداء بمراكز البحث العلمي وانتهاء بابتسامة عند اللقاء . فتكبر الأسماء والعناوين، وتتضاءل المضامين، وتكثر الكتب، وتقل الأفكار، وتكثر الحركة والتشاغل، ويقل الإنجاز والعمل وهكذا... ومن يمعن النظر في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم يجد هذه السمات سائدة فيها إلى حد بعيد؛ فنساء المسلمين ينفقن على الحلي والملابس وأدوات الزينة أضعاف ما تنفقه مثيلاتهن الأوربيات. وتسمع بأسماء لامعة في جوانب مختلفة من حياتنا، وحين تقف على الحقائق تصاب بصدمة! والناظر في المؤلفات الإسلامية التي أنجزت في القرون الخمسة الماضية. على الأقل – يجد أن أكثرها لا يعرض حقائق علمية، كما لا يمثل إضافات ذات قيمة في العلوم والمعارف التي عالجتها، وإنما يجد سيطرة (اللفظية) بشكل عجيب. وكثير من الحواشي والشروح لم يقدم نقودا حقيقية بمقدار ما كان عبارة عن مماحكات لفظية تستهلك الطاقات الحية دون أي مردود يذكر.

ولعل طريقة التعليم القائمة لدينا على التلقين، لا التفكير ولا الحوار والمناقشة هي التي تجعل المرء يندفع إلى قول أي شيء بقطع النظر عن محتواه! .

ولعل عدم مساوقة التربية البيئة – التي تؤكد على الجوهر – لما هو سائد من معايير الضبط الاجتماعي يجعل الإنسان يشعر بضرورة التماثل الاجتماعي – الذي لا يؤكد عادة إلا على الأشكال والمظاهر – مهما كانت قناعات المرء ومعتقداته .

إن الشكلية واللفظية تضاذان الروح العلمية. وإن لدينا أفكارا كثيرة جميلة لكنها لا تقبل التحول إلى واقع ملموس؛ فهي بالتالي من باب الزينة الكلامية التي تزين بها مجالسنا، ونزجي بها أوقاتنا!

7. **مقاومة التغيير:**

من شأن المجتمعات النامية أن تحول العادات إلى مقدسات – بقطع النظر عن مشروعية ذلك أو فائدته –؛ فقلة الخبرة الحياتية تجعل روح المغامرة

ضعيفة بالإضافة إلى أن كل جديد يحتاج – بحسبه – إلى نوع من التكيف وخمود الهمة الحضارية لا يساعد عليه.

كما أن هناك أفرادا وشرائح اجتماعية ارتبطت مصالحها بالمألوف السائد؛ فهم يبذلون جهودهم وما في وسعهم لإبقاء كل شيء على ما هو عليه على نحو ما قال الله – سبحانه وتعالى –: (وَكَذَٰلِكَ

مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ، قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ **(سورة الزخرف: 23-24)**

وقد أنتج السلف الصالح من الأفكار والمعلومات والنظم والأوعية الحضارية المختلفة ما قلب ما كان مألوفا في الجاهلية رأسا على عقب، وقد تقبل المسلمون ذلك برحابة صدر وحماسة، ولم يثر فيهم تحسسا يذكر، كما لم يصدع مجتمعاتهم، ويحولها إلى ساحات حرب ثقافية . وذلك لأن فهمهم للمنهج الرباني كان أكمل من فهمنا، وهو منهج يخبرنا أن الإنسان قاصر عن إدراك الحقائق دفعة واحدة؛ وهذه المسألة هي الملجئ الأعظم إلى التغيير والتطوير. ولو قدر لنا أن نقبض على الحقائق الكونية دفعة واحدة لانتفت سنن التدرج والتغيير والهدم، ولكن ليس هناك ما يدل على أن شيئا من ذلك سوف يحدث.

إن حياة المسلمين اليوم مثقلة بالبدع وبالكثير من الأشكال والعادات البالية التي تصادم عقيدتنا، أو التي لا تصادمها لكنها عالية التكلفة قليلة الفائدة، ومع ذلك فإن الناس جعلوها جزءا من ثقافتهم وحياتهم؛ وليس هذا المقام مقام تفصيل.

هذه الأخلاق وأخلاق أخرى عديدة . على شاكلتها - حالت دون وضع المجتمعات الإسلامية في الوضعية الصحيحة المناسبة لفهم التحديات التي تواجهها ثم مقاومتها والتغلب عليها .

وما ذكرناه هنا ليس سائدة في مجتمعات المسلمين وحدها بل في كل المجتمعات التي لم تؤمن نوعا مناسبا من الانطلاق الحضاري المكافئ لروح العصر وحاجاته .

ومع كل ذلك فإن بوارق الأمل بتحسن أحوالنا تلمع في كل مكان مهما كان الظلام حالكا.

ثانيا: العقلية السائدة في المجتمعات النامية :

نعني بالعقلية مجموعة العقائد الرئيسة والعادات النفسية والصور الذهنية التي يحملها فرد من الأفراد. و في حالات الركود الحضاري يصبح أداء العقائد والمبادئ ضعيفا، وهذا من جهته يولد انفصاما بين الجانب النظري والجانب العملي؛ حيث تتم تحت السطح فهومات وتأويلات خاطئة لتلك المبادئ وتوجد لها نوعا من التكيف الشعوري والفكري الخاطئ مع واقع خاطئ؛ وبالتالي فإن الواقع لا يمثل المبادئ، ولا يعود عليها بالثراء والصقل والحيوية؛ وذلك كله يفضي إلى أن تكون مجمل الأحكام والتصورات الصادرة عن أكثر الأفراد في المجتمعات النامية موسومة ب(اللامنطقية) و(اللامنهجية) على نحو ما نجده عند كثير من المسلمين اليوم حيث الانتفاع بالهدي الرباني معدوم، أو ضعيف؛ كما أن معطيات الواقع السيئ لا تقود إلى الرشد الفكري، وحيث تتحكم الانفعالات والعواطف والأحكام الشخصية وردود الأفعال المضطربة.

والنتيجة هي المزيد من التيه والتخبط والغشاوة! وهذه العقلية لا تخضع العوامل الجنس ولا الوراثة – كما يحاول بعض الباحثين الغربيين إثباته . ولكنها خلاصة لعوامل تاريخية واجتماعية وثقافية كثيرة.

وما سنذكره هنا من سمات هذه العقلية ليس خاصة بالمجتمعات الإسلامية ، كما أنه – بالطبع – ليس سمة لكل مسلم لكنه يتجلى بوضوح لدى الأكثرية .

إن اختلال منهجية الفكر يقف عائقا عسيرا أمام إدراك واقعنا، كما يقف عائقا أمام محاولات النهوض والإصلاح؛ ومن هنا فإن فهم العقلية السائدة في المجتمعات الإسلامية يعدّ من المداخل الأساسية لمعالجة مشكلات المسلمين.

ويمكن أن نذكر من مفردات هذه العقلية ما يلي:

1. ضعف مثاقفة التساؤل:

دار الدنيا دار أسباب ومسببات، وإذا أراد الله – تعالى – أمرا هيأ أسبابه وأزال موانعه؛ ومن هنا فإن الوقوف على العلل والأسباب مهم في فهم الظواهر المختلفة. والملاحظ أن في مجتمعاتنا قصورا مريعا في مثاقفة التساؤل عن أسباب الأحوال السيئة التي نعيش فيها. وحين تتفتح الرغبة لدى الطفل في الفهم، ويمطرنا بتساؤلاته فإننا نسكته، أو نعطيه جواباً نحن لا نقنع به، بدل أن نشرح له، ونفهمه ؛ فنساعد الطفل بالتالي على أن يجيب على تساؤلاته بصورة خرافية وهمية.

وقد جرت عادة كثير منا في التعامل مع المشكلات أن يغرق في التفاصيل، ويهمل الأسباب، مع أن معرفة الأسباب أهم بكثير؛ فنحن مثلا لا نستفيد شيئا من وراء التدقيق في معرفة أعداد القتلى في معركة صفين أو الجمل، لكن تشخيصنا للأسباب مهم في مساعدتنا على تفادي تكرارها .

وإذا ما أردنا أن نبحث أسباب مشكلة اتجهنا مباشرة إلى النوايا ؛ فالهوى هو مصدر كل المشكلات والأزمات مع أنه من العسير معرفة الدوافع الكامنة لدى الإنسان في كثير من الأحيان. وبحث العوامل الأخرى المتصلة بالظروف والمصالح أسهل وأجدى.

وقد يجرنا الفكر الجبري – المتغلغل في بنية التفكير لدى كثير من المسلمين – إلى الانصراف عن بحث الأسباب والتعلل بالقضاء والقدر، مع أن القضاء والقدر يحتج بهما في المصائب – أي فيما لا كسب للإنسان فيه . لا في المعائب والأخطاء والخطايا .

إن التخلف سبب رئيس من أسباب ضعف التساؤل؛ حيث إن الانطلاق الحضاري يأتي بطبعه بمزيد من التساؤل، كما يأتي بمزيد من الأجوبة . ومن خلال العلاقة الجدلية بينهما تولد حركة التقدم والكشف المعرفي.

وقد تعودنا على صد كل من يطرح التساؤلات حول أسباب واقعة أو ظاهرة من الظواهر، أو نعطيه – في أحسن الأحوال – جوابا سطحية سريعا لا ينقع غلة، ولا يشفي من حيرة. وربما صار المتسائل موضع اتهام وتشكيك مع أن القرآن الكريم رد على أسئلة عديدة توجه بها بعض الكفار إلى النبي صلى الله عليه وسلم كما أن الأحاديث الثابتة تفيض بأسئلة الناس وتلقي الأجوبة عليها .

إن تشابك المؤثرات والعوامل في الظواهر التي نعيشها يحتم علينا أن نفتح أبواب التساؤل على مصراعيها حتى تتوفر لدينا مجموعة من المؤشرات المختلفة إلى جذور تلك الظواهر وعللها . فلا يكفي لمعالجة مشكلة الفقر أن نقول للناس : أنتم فقراء، أو اصبروا على الفقر، أو تخلصوا منه، وإنما عليك أن تبين لهم لماذا هم فقراء، وما هي العوامل والجهات التي أدت إلى ذلك .

2. اضطراب منهجية التفكير:

في المجتمعات النامية تضطرب منهجية التفكير اضطرابا عجيبا في أمور عديدة ؛ فهناك خلط كبير بين ما هو كائن وبين ما ينبغي أن يكون؛ فتصدر أحكام وحلول كثيرة بناء على مقدمات غير موجودة .

وهناك استنتاجات لا تستند إلى مقدمات، كما أن هناك مقدمات تستخلص منها نتائج مع فقد الارتباط المنطقي والواقعي بينها ؛ فمثلا نبني على وجود الإيمان لدى شخص أنه سيتقن عمله؛ لأن إيمانه يملي عليه ذلك غافلين أن العقائد لا تؤدي وظائفها على أرض الواقع العملي دون مجموعة من الشروط الموضوعية والنفسية والاجتماعية .

ولدينا نقص في الصبر على الاستقراء والملاحظة إلى جانب الإسراع . في إصدار الأحكام مهما تكن كبيرة؛ وهذا عكس المطلوب؛ حيث يتطلب

تعقيد المعرفة والحياة المعاصرة عامة المزيد من الحذر في إصدار الأحكام ومزيدا من الصبر في الملاحظة والاستقراء. ونجد في مجتمعاتنا أيضا إسقاط القاعدة بالمثال الشاذ، مع أن الموقف المنطقي يوجب علينا أن نعد الشذوذ مؤكدة للقاعدة، وليس مسقطا لها.

ومن اضطراب المنهجية لدينا التعامل مع أعقد القضايا بالحدس والتخمين والتأمل الذاتي والاعتماد على الأصول والمعطيات العامة بدل أن نقوم بفيض من البحوث والدراسات حولها؛ فنحن في زمان صار (الإحصاء) فيه ملك العلوم الاجتماعية والتجريبية، لكننا ما زلنا نتعلق بعصر انقرض كانت السيادة فيه للفلسفة. إن كل ذلك لا ينتج سوى العجز عن تصور حجم المشكلات التي نعاني منها، وإلى العجز عن تقسيم تلك المشكلات إلى محورية وهامشية. كما أن الاضطراب في منهجية التفكير أدى إلى عدم القدرة

على ترتيب الأولويات بحسب أهميتها؟ فنعالج الزكام ونترك النزيف. والنتيجة هي الحيرة والتأزم وافتقار الحلول المطروحة إلى المتانة المنطقية .

3. قصور التفكير الجدلي:

الإنسان هو مركز عالم الأحياء حيث سخر الله – تعالى – له ما في السماء والأرض. والناظر في شأن هذا المخلوق العجيب يجد أن كل ما يتصل به على درجة عالية من التعقيد؛ فالعوامل والمؤثرات التي تتعاون في ولادة الشأن الإنساني كثيرة جدا، وهذا يتطلب ذهنية مركبة تبصر تبادل التأثير بين الجوانب المختلفة، كما تبصر تبادل العلاقات بينها ووزن تأثير كل طرف في الأطراف الأخرى.

وحين يعيش شعب في مرحلة تخلف أو ركود يكون التفكير الجدلي لديه ضامرا، فتنطلق الذهنية في نظرتها للأمور المختلفة من مبدأ (العزل والفصل): الشيء قائم بذاته منفصل عن بقية الأشياء والظواهر؛ فهو ثابت معزول مع أن الأمر ينطق بأن كل شيء هو لذاته وللآخرين، وكل شيء هو دائما في علاقة أو علاقات. ومن خلال العلاقات بين الأشياء والنظم والأفكار تولد فيها جميعا تحولات مطردة، وتلك التحولات قد تمس الجوهر، وقد تمس المظهر، وقد تكون كلية أو جزئية، بحسب موقع كل منها ومحوريته وحدوديته في عمليات التغير والتحول.

إن رؤية الأشياء على أنها ثابتة ومنفصلة يجعلها بمثابة (كتلة صلدة) مغلقة لا تقبل صرفا ولا عدلا.

وحين يتم إدراك التحركات فإنه يتم إدراكها على أنها تحركات (آلية)؛ فالشعوب الفقيرة – مثلا – تظن أن حل جميع مشكلاتها متوقف على امتلاك المال. والشعوب المستعمرة تظن أن حل مشكلاتها مرتبط بشكل آلي بخروج الاستعمار، دون النظر إلى أنواع المشكلات وصنوف الابتلاءات التي يفرزها الغنى ، ودون النظر إلى ما تتسم به الشعوب المستعمرة من (قابلية الاستعمار) التي وطأت لدخول الغزاة ، ودون النظر إلى أنواع التحديات التي سوف تترتب على ذلك ؛ فقد خرج الاستعمار من بلاد كثيرة ولم تتحسن أحوالها، وهناك بلاد لم يدخلها الاستعمار لكن أوضاعها أسوأ من بلاد استعمرت حقبا طويلة من الزمن ! إن بعض المشكلات تكون عبارة عن أقنعة لمشكلات أخرى أكثر محورية، ومن ثم فإن الخلاص من القناع لا يعني سوى وضعنا مع المشكلة المحورية وجها الوجه !

إن قصور التفكير الجدلي يملي – في الغالب – تفسير الظواهر الكبرى بسبب أو عامل واحد فالفقر لدى الشعب الفلاني سببه الكسل، والتخلف الصناعي لدى الشعب الفلاني سببه النقص في المواد الخام، دون أن يؤخذ

بعين الاعتبار ظاهرة التقدم الصناعي الضخم في اليابان على الرغم من قلة المواد الخام، ودون السؤال عن الشروط الموضوعية التي أدت إلى الكسل وكيفية التعديل فيها. والنتائج المتولدة عن ضعف التفكير الجدلي هي التصلب الذهني وعدم القدرة على التكيف وحجب رؤية النسبية في كثير من الظواهر والأشياء وجعل الوسائل والأساليب المستخدمة في التعامل مع المشكلات محدودة، وحجب رؤية التناقضات الذاتية (وفق سنة المدافعة) الموجودة ضمن ما يظن أنه كتلة واحدة؛ وبالتالي عدم الاستفادة منها واستغلالها. والمحصلة النهائية هي تراكم المشكلات وتعطيل الطاقات .

4.ضعف الحاسة النقدية

يتعاقب على حياة البشر طوران من العمل طور بنائي وطور نقدي . وتتبع ضرورة الطور النقدي من أن البشر لا يستطيعون حيازة الكمال دفعة واحدة، وما يتم إدراكه منه يكون متفاوتا بينهم لأسباب كثيرة. وهذا وذاك يجعلان الحاجة ماسة إلى مساوقة الأعمال النقدية للأعمال البنائية حتى تستمر آلية الترقي والتطوير على وتيرة مناسبة .

والملاحظ أن حركة النقد لدى الشعوب النامية ضعيفة وسوقه كاسدة أو راكدة. وذلك في جزء منه نتيجة لبطء النمو والتطور، حيث لا يوجد ما يستحق النقد، وحيث إن الأعمال الصغيرة – بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . لا تشجع على النقد، وحيث يتجه بعض النقاد إلى جعل الإمساك عن نقدها هو الموقف الصحيح تجاهها.

إن الذهنية – في البلدان النامية – تتسم في كثير من الأحيان بالقصور عن إدراك الصور الكلية، كما تتسم بضعف استلال النماذج الخاصة من بين أكداس المعلومات المتاحة. وهذا وذاك يجعلان نمو الملكات النقدية محدودة. وحين يتم النقد فإنه يوجه غالبا إلى السلبيات، مع أن النقد عملية تقويمية شاملة؛ ومن ثم فإن بيان ما يشتمل عليه المنتقد من مساحات الخير والجمال والصواب أمر ضروري لإثراء فن النقد وصقل معاييره، كما أنه

يساعد على تلطيف الأحكام الصادرة من خلال الوزن المنصف لمختلف جوانب العمل وأبعاده .

ويلاحظ أن النقد لدينا يوجه إلى الأشخاص، وفي أحسن الأحوال إلى المواقف، مع أن النقد ينبغي أن يوجه إلى الثقافة السلبية التي تمثل الدوافع والحوافز والفضاء النظري للموقف المنتقد. والباعث على ذلك هو طلب السهولة في عملية النقد والتقويم، حيث إن نقد الثقافة من أشق الأعمال؛ فنحن لا ندرك . غالبا . سلبياتها إلا من خلال إفرازاتها.

ويلاحظ أيضا أن الذهنية في البلدان النامية تتجه إلى نقد القضايا الصغيرة والمسائل الفرعية مع أن اختلاف الأذواق والأفكار والمواقف منها أمر سائغ، حيث إنها مناط الاجتهاد. وكان ينبغي توجيه النقد إلى المنظومات الجوهرية والمحورية وإلى القوانين العامة التي تغذي المسائل الصغرى، وتهيمن عليها، وتوفر لها المناخات اللازمة ؛ فحين تصبح ظاهرة الضعف اللغوي – مثلا – حادة فإن علينا ألا نقرع مدير المدرسة أو مدرسا أو طالبا، وإنما علينا أن نراجع النظام التعليمي كله وبكل جوانبه، وحين تكثر الحوادث المرورية فإن علينا أن نراجع تثقيفنا المروري للناس، كما أن علينا أن نراجع الجزاءات والأنظمة المرورية المختلفة وهكذا...

ومن مشكلاتنا في هذا الباب أننا لم ننجح في الفصل بين القضايا موضع النقد وبين الجوانب الشخصية؛ فنعتقد أن نقد الفكرة هو نقد لصاحبها؛ فنحجم عن نقدها؛ حتى لا نخسر العلاقة الحميمة مع صاحبها، وهذا على الرغم من أن الفكرة حين تشيع تصبح ملكا للثقافة وأهلها. ومن حقهم توضيح موقفهم منها، وعلى الرغم أيضا من أن تراثنا مفعم بالمواقف النقدية بين الأقرباء والأصدقاء والتلامذة وشيوخهم.

ومما أضعف حركة النقد لدينا ادعاؤنا الدائم للكمال وتمجيد الذات

والخلو من المشكلات؛ مما يجعل أي نقد عبارة عن خدوش في الصورة الصقيلة التي نحاول إعطاءها!

وهذا يشبه عمل من يحاول حجب الشمس بكفه! إن المشكلات التي تحيط بنا لا تتبخر بالتجاهل، ولكنها تتراكم وتتفاعل؛ لتظهر في صورة انفجارات اجتماعية تذهب بالصالح والطالح!.

إن القرآن الكريم مع ثنائه العطر على الصحابة الكرام – رضوان الله عليهم – كان يتابع حركة بناء المجتمع الإسلامي، ويقوم المواقف والاجتهادات التي تحتاج إلى تقويم؛ ليكون النقد كالظل للبناء، وليتعلم المسلمون ضرورة التزام المراجعة والتصحيح المستمر .

ثالثا: النفسية السائدة في المجتمعات النامية:

إن الحالة الراهنة التي تحياها الأمة اليوم عبارة عن محصلة نهائية لمجموعة ضخمة من التجارب غير الناجحة أو الناجحة نجاحة جزئية غير كفء؛ ولا بد لهذه الإخفاقات التي تم إنجازها في الواقع التاريخي والواقع المعاش من أن تترك انعكاسات نفسية عديدة تؤدي إلى تأصيل عدد من الصفات النفسية المرضية التي تسهم من جانبها في توكيد ظاهرة الركود الحضاري على نحو ما كانت بعض ارتكاساته.

وحديثنا عن بعض تلك الصفات لا يمنح براءة بالصحة النفسية للمجتمعات المتقدمة صناعيا؛ حيث إنها تعاني من تأزمات وانتكاسات نفسية وخلقية واجتماعية رهيبة جدا، ومنذرة بتدمير كل ما تم إنجازه على الصعد المادية كافة؛ لكن نوعية الأمراض هناك مختلفة عن نوعية الأمراض التي نعاني منها من جوانب

عديدة . إن الهوة السحيقة التي تفصل بين كينونة المسلم على المستوى العقدي وبين واقعه السلوكي المعاش كافية بمفردها لأن تكون مصدرة لعدد من الأمراض والأعراض النفسية ؛ فكيف إذا أضفنا إليها عقابيل وارتكاسات الفقر والمرض وتسلط الأعداء؟

ويمكن أن نذكر بإيجاز بعض الخصائص والسمات السائدة في مجتمعاتنا على الوجه التالي:

1- القهر:

إن الإسلام يحث المسلم على أن يكون واقعه عبارة عن استجابات مستمرة للآمر العقدي، حيث يشعر بالانسجام ونشوة الإنجاز . وحين يجد المسلم واقعه المعاش بعيدة عما تفرضه عقيدته عليه فإن ذلك سيكون مصدر إزعاج وقلق. ويكمل ذلك ذل الحاجة وقلة الحيلة ومهانة الخضوع لتكون النتيجة النهائية عبارة عن إحساس المسلم بالحصار المرهق ذي الأطواق العديدة! إنه القهر الذي يكبت أو يشوّه كل الملكات المتفتحة، وكل جوانب الحيوية في شخصية الإنسان، مما يؤدي إلى صراع داخلي رهيب بين العوامل الخارجية القاهرة وبين المرتكزات الفطرية النفسية لحياة حرة كريمة . وتكون النتائج غالباً عبارة عن خضوع وامتثال خارجيين إلى جانب الانطواء على روح الانتقام من كل الجهات التي تسببت في إذلاله وإهانته. وحينما تسنح الفرصة للانتقام فإنه لن يقصر بالتذرع إليه سواء أكان ذلك بأفكار غالية متطرفة، أو إطلاق النكات وترويج الشائعات السيئة ...

2- فقد الثقة بالنفس:

إن الإنسان الناجح يدفع بأولاده إلى النجاح من خلال تعزيز ثقتهم بأنفسهم. وإن الذي يفقد ثقته بنفسه غالبا ما يشكك الآخرين في ثقتهم بأنفسهم ما لم ير نمطا رفيعا لا يقبل الجدل فإنه حينئذ يخضع له بدل أن يتعلم منه! وفقد الثقة بالنفس وبالآخرين يفرز نوعا من الخوف العام من كل جديد وكل ما يخالف المألوف؛ مما يؤدي إلى انحسار الذات وفقد الكفاءة الاجتماعية وتقلص المجالات الحيوية لحركته ونشاطه. وإذا كان لا شيء يغري بالنجاح، كالنجاح نفسه فإن استعادة الأمة للثقة بإمكاناتها متوقف على محاولاتها تسجيل عدد من النجاحات العالية، وما ذلك عنها ببعيد ولا عسير.

3- الشخصية الازدواجية:

إن الظروف السيئة التي يحياها أكثر المسلمين على المستوى الثقافي والاجتماعي والاقتصادي تجعله في نوع من المحنة الدائمة ؛ فالمنظومات المكونة لكينونته ليست في حالة وئام مرض. والامتثال الاجتماعي يفرض عليه تصرفات ومواقف ليس لها رصيد في قناعته. وظروف الحياة المختلفة تجعل تطلعاته وحاجاته أكبر من الإمكانات المتاحة لتلبيتها؛ ونتيجة لكل ذلك فإنه يسوغ لنفسه السلوك المزدوج؛ فالعامل

يعمل إذا كانت عليه رقابة ، وهو يكيل المدائح لرب العمل، ويظهر الحرص عليه كلما كان موجودا، فإذا غاب اختلف كل شيء. والدرس النموذجي للأستاذ إنما يكون عند وجود الموجه والمفتش وهكذا...

وعدم تكافؤ التربية المنزلية مع الضبط الاجتماعي العام أدى إلى أن يكون لكثير من الناس سلوكان خيرهما ما كان أمام الناس؛ فيظهر المجتمع وكأنه يرتدي حلل العافية على حين أن الأمراض والأوبئة المختلفة تفتك.

وهذا الوضع أسهم بصورة كبيرة في عجز المجتمعات النامية عن الإحساس بمشكلاتها بصورة صحيحة حيث التلون الدائم في كل شيء، كما أدى إلى ازدراء الإنسان لنفسه حيث يشعر بالجبن والضعف عند المواجهات الجادة .

4- الآنية:

إن للديمومة أبعادة ثلاثة : الماضي والحاضر والمستقبل. وبين هذه الأبعاد نوع من الترابط الجدلي، وحين يكون الإنسان في حالة سوية فإنه يأخذ العبرة من الماضي والقوة من إمكانات الحاضر ليخطو من خلالها جميعا نحو عتبة المستقبل. لكن الشأن في المجتمعات النامية يظل مختلفة حيث نجد اهتماما باللحظة الحاضرة لا على سبيل الاستثمار والاستفادة ، ولكن على جهة الاستهلاك وإشباع الرغبات مع العجز عن التضحية بها في

سبيل الغد؛ وهذا مع أن من أركان فلسفة التدين التضحية بشيء من العاجل النيل الآجل؛ لكن الإنسان حين يكون في حالة انكماش حضاري تكون فائدته من مبادئه محدودة حيث إن من شروط الانتفاع بالمبادئ توفر درجة مناسبة من التوتر الحيوي والتوثب الروحي. وتلك لا تتوفر في حالات التخلف والسكون. والآنية التي يجنح إليها الإنسان عندنا جاءت انعكاساً لضعف الضمانات المختلفة التي يحتاجها النظر إلى المستقبل؛ فالاضطرابات الموجودة على المستويات المختلفة جعلت ثمة شعورا عميقا بضرورة اقتناص اللحظة مهما كانت العواقب وخيمة؛ ومن هنا نجد أن الناس لا يقبلون على الاستثمارات طويلة الأجل، كما أن الخطط الاستراتيجية التي يتم وضعها لا تنفذ إلا جزئيا، وأحيانا بصورة مشوهة.

والإنسان في أفريقيا وبعض مناطق جنوب شرق آسيا ينغمس اليوم في الفاحشة مع أنه يرى أمام عينيه ضحايا مرض (الإيدز) أكثر من انغماس الغربيين نظرا للآنية التي انصبغت بها مشاعره، ونظرا لضعف حاسة الاعتبار وحاسة الاستشعار عن بعد لديه!

مشكلة الآنية هذه حرمتنا من إشباع حاجة (التجذر) التي لا يمكن تلبيتها إلا من خلال التواصل الحي مع الماضي، كما حجمت المجال الحيوي أمام أنشطتنا إلى أدنى حد؛ فاختنقت أعمال وأفكار كثيرة .

5- الشعور بالدونية:

حاولت منظمة (اليونسكو) في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية أن تروج لفكرة تساوي الثقافات وأحقية الشعوب في الخصوصية الثقافية ؛ فلا توجد ثقافة متقدمة وأخرى متخلفة. وما زال هناك من يروج لذلك إلى يوم الناس هذا.

وهذه الدعوة صحيحة على المستوى النظري لكن على المستوى العملي فإن صحة هذه الدعوة جزئية، وذلك في الجزء الذي لا تحكمه المعايير العالمية موضع الإجماع من كل الثقافات.

ومع صحة القول بأن المعايير العالمية المزعومة قامت على أسس ثقافية غربية إلا أن الصحيح أيضا أن هناك إجماعا ثقافيا عالميا على تحبيذ بعض المبادئ والفعاليات والسلوكيات والمظاهر؛ فلا توجد ثقافة تدعو إلى الكسل والمرض والجهل والخنوع والفوضى – على المستوى النظري على الأقل – وهذه السمات بما أنها من مظاهر الركود الحضاري ومسبباته موجودة بكثافة في المجتمعات النامية.

وإذا ما أضفنا إلى ذلك الندوب والتشويهات النفسية العميقة التي تركتها مرحلة الاستعمار – عرفنا الأسباب التي تجعل كثيرا من أبناء الشعوب النامية يشعرون بعقدة النقص؛ فهناك من يخجل من لونه، ومن يخجل من الانتساب إلى بلد أو شعب أو أمة، وهناك من يخجل من اللغة أو الزي أو نوعية الطعام السائد في بلده ..... .

وطاول ذلك المنتجات التي تنتجها الشعوب النامية، حيث صارت كلمة (منتج وطني) عند العديد من الشعوب رمزا للرداءة شكلا ومضمونا. وأدى هذا إلى زهد في كل ما هو محلي، وتقليد أعمى لما هو موجود في المجتمعات الصناعية، ولو كان متخلفا وموضع شكوى لدى أهله.

وتجاوز الأمر ذلك كله إلى (التماهي) بالمستعمر في احتقار ابن المجتمع النامي لأبناء وطنه ومحاولة ممارسة عين الدور الذي مارسه المستعمر!.

وهذا نوع من المبالغة في الفرار من المهانة النفسية للإنسان لدينا لكن بصورة انتكاسية. وكان ذلك البديل الأسوأ عن محاسبة أولئك المستعمرين الذين بذروا كل عوامل التخلف والشقاء والشقاق قبل رحيلهم!

6- طغيان الانفعال:

يمثل الجانب العاطفي والجانب العقلي العنصرين الأكثر أهمية في شخصية الإنسان. وحين يكون الإنسان في حالة طبيعية سوية فإنه يستخدم

الجانب العقلي في إدراك القضايا والتكيف مع الظروف الطارئة والتخطيط الشامل لكل جوانب الحياة . أما الجانب العاطفي فإنه يكون منبع التواصل الأسري والاجتماعي، كما يكون مصدرا للطاقة التي نحتاجها في الاندفاع نحو الأعمال المختلفة .

لكن الإنسان لدينا متحيز إلى جانب العاطفة الجياشة – في أكثر الأمر – وذلك الميل خلاصة مركزة لكل أنواع الإخفاق والقصور على المستوى الفكري ؛ فالضمور هناك لا بد أن يقابله نمو هنا. وتأخذ الانفعالية لدينا طابع الهيجان الذي يؤدي إلى الإضرار بالقضية مصدر الانفعال، فيكون الشأن كحال سيارة مضت في منحدر دون أن يكون ثمة سائق يوجهها .

كما أن الانفعال لدينا يتسم بالقصر، فيكون بمثابة (لحظة تفريغ) أكثر من أن يساعد على تجاوز أزمة أو مشكلة .

والذي يستمع إلى وسائل الإعلام في العالم الإسلامي يجد أن كثيرة منها ليس لديه سوى بث الشكوى والأنين والدعوة إلى الثأر والانتقام من الأعداء، أو التغني بالأمجاد والبطولات وترديد أناشيد التحفيز على عمل شيء ما، لكن المؤسف أن ذلك كل ما نفعله! إنه نشاط فمي عاطفي ليس أكثر، أما النتائج على الأرض؛ فهي كما قال المثل العربي القديم : «أشبعتهم سبأ وأودوا بالإبل» !

7– الإسقاط:

إن المشكلات التي تعاني منها مجتمعات النمو عديدة وإن كل واحد من أبنائها يحمل – ولا شك – بين جنبيه قسطا من الكرامة والأنفة. وهو في محاولة تنمية ذلك الجزء أو الحفاظ عليه يندفع بشكل عفوي نحو اصطناع آلية يسوغ من خلالها وضعية الواقع الذي يعيشه، وذلك بإلقاء أسبابه وتبعاته

على عدو خارجي لا يمت إلى ذلك المسوغ بصلة في مجال عمله الحيوي على الأقل.

وفي البداية فإن مما لا ريب فيه أن المسؤولين عن واقع الشعوب الإسلامية عديدون، وأن للاستعمار والظروف الصعبة، وما خلفه الآباء والأجداد من تركات ثقيلة تأثيرا لا يستهان به في بذر ركائز هذا الواقع ومدّه بأسباب البقاء والاستمرار؛ كما أن للقصور الذاتي الذي يتسم به الإنسان لدينا مساهمته الفعالة في ذلك؛ لكن الأمور لا تطرح لدينا على هذا النحو، وإنما توجه أشعة النقد نحو الخارج دائما مع تبرئة النفس من أية مسؤولية، مع أن القرآن الكريم يلفت أنظارنا إلى أن القصور الذاتي هو العلة الكبرى في حصول المآسي والنكسات، كما قال سبحانه: (أو لما أصبكم مصيبة قد أصبتم مثلها قلتم أنّى هذا قل هو من عند أنفسكم إلى الله على كل شيء قدير . وقال – جل وعلا–: وإن تُصبكم سيئة يفرحوا بها وإن تصبروا وتتقوا لا يضرّكم كيدهم شيئا إن الله يما يعملون محيط

إسقاط واقعنا المؤلم على الآخرين يأخذ أشكالا متعددة وضمن دوائر مختلفة ؛ ففي التعليم – مثلا – يلقي أساتذة كل مرحلة مسؤولية ضعف الطلاب على الأساتذة في المرحلة التي قبلها، والمدرسة تلقي المسؤولية على الأسرة؛ والأسرة تلقي المسؤولية على المدرسة فتعود المدرسة لتلقي المسؤولية على نظام التعليم أو أولياء الأمور أو أي شيء آخر. أما التخلف العام فإن الشعوب تلقي مسؤوليته على الحكومات، والحكومات تلقيها على الاستعمار الذي نهب خيرات البلاد قبل أن يرحل! وقد يلقي جيل من الأجيال مسؤولية تخلفه على كاهل الأجيال السابقة التي لم تخلف سوى الديون والأرض المحروقة؛ حتى وصل الأمر إلى أن أصبح لسان الحال ينطق بالمقولة الذائعة : مشكلاتنا صنعها الجيل السابق وسوف يحلها الجيل اللاحق» أما نحن فأبرياء من كل تبعة!